على غيرهم كقوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم
فيه أي خلق لكم أيها الناس من أنفسكم أي من جنسكم ذكورا وإناثا وخلق
للأنعام أيضا من أنفسها ذكورا وإناثا يبثكم ويكثركم أيها الناس والأنعام
في هذا التدبير والجعل لما فيه من التمكن من التوالد والتناسل فهو كالمنبع
والمعدن للبث والتكثير فقوله يذرؤكم خطاب شامل للناس المخاطبين
والأنعام المذكورة بلفظ الغيبة ففيه تغليب المخاطب على الغائب
والأناسي ذكر الجميع أعني الناس والأنعام بطريق الخطاب لأن الأنعام
غيب وتغليب العقلاء على غيرهم والأناسي خطاب الجميع بلفظ كم المختص
بالعقلاء ففي لفظ كم تغليبان ولولا التغليب لكان القياس أن يقال
يذرؤكم وإياها كذا في الكشاف والمفتاح وغيرهما ولقائل أن يقول
جعل الخطاب شاملا للأنعام تكلف لا حاجة إليه لأن الغرض إظهار
القدرة وبيان الألطاف في خلق الناس فالخطاب مخصوص بهم والمعنى يكثركم
أيها الناس في هذا التدبير حيث يمكنكم من التوالد والتناسل وهيأ لكم من
مصالحكم ما تحتاجون إليه من ترتيب المعاش وتدبير التوالد والأنعام
خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون وجعلها أزواجا لتبقى بها لكم
وتدوم وتزيد وأمكن على هذا أن يكون التقدير وجعل لكم من الأنعام أزواجا
وهذا أنسب بنظم الكلام مما قدّره وهو جعل للأنعام من أنفسها
أزواجا ومنه تغليب الموجود على ما لم يوجد كما إذا وجد بعض
الشيء وبعضه مترقب الوجود فيجعل الجميع كأنه وجد كقوله تعالى
والذين يؤمنون بما أنزل إليك والمراد المنزل كله وإن لم ينزل إلا بعضه
ومنه تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه كقوله
تعالى ذلك بما قدمت أيديكم ذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال يزاول بالأيدي
فجعل الجميع كالواقع بالأيدي تغليبا ولكونهما تعليل لقوله كان كل ودم
ليثبت الحكم من أول الأمر معللا فيكون له في النفس استقرار لا يكون
لما يذكر تعليله بعده أي ولكون إن وإذا لتعليق أمر هو حصول المضمون

الجزاء بغيره يعني حصول مضمون الشرط في الاستقبال متعلق بتعليق على
معنى جعل حصول الجزاء مترتبا على حصول الشرط في الاستقبال ولا يجوز
أن يتعلق بتعليق أمر لأن التعليق إنما هو في زمان التكلم لا في الاستقبال
ألا ترى أنك إذا قلت إن دخلت الدار فأنت حر فقد علقت الحرية
على دخول الدار في الزمان المستقبل كان كل من جملتي كل من إن وإذا
يعني الشرط والجزاء فعلية استقبالية أما الشرط فظاهر لأنه مفروض
الحصول في الاستقبال فيمتنع ثبوته ومضيه وأما الجزاء فلأن حصوله
معلق على حصول الشرط في الاستقبال ويمتنع تعليق حصول الحاصل
الثابت على حصول ما يحصل في المستقبل ويجب أن يستثنى أن الجزاء
يجوز أن يكون طلبا نحو إن جاءك زيد فأكرمه لأنه فعل استقبالي لدلالته
على الحدوث في المستقبل فيجوز أن يترتب على أمر بخلاف الشرط فإنه مفروض
الصدق في الاستقبال فلا يكون طلبا فافهم ولا يخالف ذلك لفظا إلا لنكتة
تطبيقا للفظ بالمعنى وتفاديا عن مخالفته مقتضى الظاهر من غير أن يقتضيها
شيء وقوله لفظا إشارة إلى أن الجملتين وإن جعلت كلتاهما أو إحداهما
اسمية أو فعلية ماضوية فالمعنى على الاستقبال حتى إن قولنا إن أكرمتني
الآن فقد أكرمتك أمس معناه إن تعتد بإكرامك إياي الآن فأعتد
بإكرامي إياك أمس وقوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
معناه فلا تحزن واصبر فقد كذبت رسل من قبلك وقوله إلا تنصروه
فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا معناه ينصره من نصره قبل ذلك
وقس على هذا فقدّر ما يناسب المقام وتأويل الجزاء الطلبي بالخبري وهم
لأنه ليس مفروض الصدق كالشرط بل هو مترتب عليه هذا ولكن قد
يستعمل إن في غير الاستقبال قياسا إذا كان الشرط لفظ كان نحو وإن كنتم
في ريب وإن كنت في شك كما مر وكذا إذا جيء بها في مقام التأكيد مع
واو الحال لمجرد الوصل والربط ولا يذكر حينئذ له جزاء نحو زيد
وإن كثر ماله بخيل وعمرو وإن أعطي جاها لئيم وفي غير ذلك قليلا

Copyright © King Saud University